الأنابة

الشيخ محمد علي الساعدي

قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿والَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى الله لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِك الَّذِينَ هَداهُمُ الله وَأُولٰئِك هُمْ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[1].

تمهيد

لا يبلغ الإنسان السالك غاية كماله ونهاية وصاله نحو الحقّ تبارك اسمه إلّا بتزكية الأخلاق والوصول الىٰ معالي الأخلاق؛ لأنّ الأخلاق في الإسلام تقوم علىٰ عملية الموازنة بين غرائز الإنسان، اعتماداً علىٰ نظرة الإسلام للكون والحياة، والّتي تعطينا نظاماً خاصّاً وعطاءً منسجماً مع طريقة الإسلام في الحياة، والّتي تمنح الضوابط الأخلاقيّة الّتي تحفظ الإنسان من الشذوذ والانحراف. فالإسلام باعتباره خاتِمَ الرسالات حافظاً لسير الإنسان التكامليّ، محيلاً بينه وبين الإنحراف والوقوع في مزالق الهوىٰ والفساد.

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.

وسيرة الرسول محمّدٍ ﷺ شاهد حقيقيّ علىٰ اهتمامه ﷺ بحفظِ عمليّة الموازنة والإهتمام بالأخلاق الفاضلة، وسيرتُه تحكي لنا ذلك والقرآن الكريم شهد له بـذلك في قوله تبارك اسمه: ﴿وَإِنَّك لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(١).

فالإنسان ـ أيّاً كان ـ لا يمكن أن يصل الىٰ غاية خلقه ونهاية كماله إلّا بقدر ما يكسب من الأخلاق الفاضلة. والأُمّة تبقىٰ متأخّرة مجهولةً لا تستطيع أن تنهض بأفرادها نحو شاطىء السعادة والانتصار مالم تُعمّق في افرادها جانب الأخلاق. والتأريخ يحدّثنا عن كثيرٍ من الأُمم والشعوب الّتي بادت حضارتها وفقدت كيانها لأنّها تـنصّلت عـن أبسط القيم الّتي كان من الممكن أن تحفظ لها إمكانيّة الاستمرار والبقاء. وعليه، فتزكية الأخلاق والتخلّي عن رذائلها يكمُن في اهتمام الإنسان والأخذ بما أمر به القرآن الكريم والرسول وآله عليهم السلام وصحبه الكرام، وترويض النفس وكفاحها وكـدحها مـن أجـل تربية الروح.

ولٰكن رغم ذلك فلا يزال المسلمون يُعانون من مشكلةٍ في الأخلاق، والىٰ خَواءٍ في الروح، واختلافٍ في الصفوف، الىٰ نعراتٍ جاهليّةٍ، واختلافٍ علىٰ الغايات والأهداف، فضلاً عن الاختلاف في الوسائل والطرق، والكلّ يتوجّع ويشكو ويبحث عن السـبب وحلّه ولا يكون ذلك إلّا بالعودة الىٰ الله تبارك اسمه، والتوبة من الذنوب، والإنابة اليه بالشكل الحقيقيّ الّذي أمر به الله تعالىٰ بواسطة رسوله ﷺ بقوله: ﴿قُلْ يَـا عِـبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَحِيمُ* وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ وَأَنْتُمْ لَا تُنْصَرُونَ﴾(٢).

الإنابة في اللغة:

الإنابة لغةً من النوب، يقال: (ناب ونوبة، والنوب: رجوع الشيء مرّةً بعد أُخرىٰ،

(١) القلم: ٤.
(٢) الزمر: ٥٣ ـ ٥٤.

وسمّي النحل تـوّباً لرجـوعها الىٰ مـقارّها، ونـابته نـائبة: أي: حـادثة مـن شأنهـا أن تنوب دائماً)[1].

(والإنابة في اللغة: هي الرجوع)[2].

نابَ بـدرُ التمـامِ طـيف محـيّا ك لطرفي بيقظتي إذ حكاكا[3]

قال ابن منظور في ذكره للإنابة أنّها من: (نابَ الأمرُ نوباً ونوبةً: نَزَلَ، ونابتهم نوائب الدهر. وفي حديث خيبر قسّمها نصفين: نصفاً لنوائبه وحاجاته، ونصفاً بين المسلمين، النوائب جمع نائبةٍ، وهي: ما ينوب الإنسان، أي: ينزل به من المهمّات والحوادث. والنائبة: المصيبة واحدة نوائب الدهر النازلة، ويقال: أصبحتَ لا نوبة لك، أي: لا قوّة لك، وكذلك تركته لا نوب له، أي: لا قوّة له، وناب عنّي فلان ينوب نوباً ومناباً، أي: قام مقامي وناب عنّي في هٰذا الأمر نيابةً إذا قام مقامك)[4]. فالإنابة إذن: العودة والرجوع.

قال الزمخشريّ في تعريفه للإنابة أنّها من النوب: (نابه أمرٌ نَوْبةً، وأصابته نوائبُ ونُوَبٌ ونائبةٌ ونَوبةٌ، والخطوبُ تنوبه وتَتَناوبه، وناب اليه نَوبةً ومناباً: رجع مـرّةً بـعد أُخرىٰ، والنحلُ تنوب الىٰ الخلايا، ولذلك سُمّيت النُّوَب. قال أبو ذؤيب:

إذا لسعته النَحلُ لم يَرجُ لسعَها وحالفَها في بيتِ نُوبٍ عوامل

واليه مناب: مرجعي، وخبر نائب: كثير عوّاد، وهو ينتابُنا، وهو مُـنتاب: مُـفادٍ مراوحٌ، وأنابَ الىٰ الله، وعبد منيب، وأتاني فلان فما أنبتُ اليه: إذا لم تحفِل بـه، ونـاوَبه مناوبةً، وتناوب القومُ في غيره.

ونُوِّبَ فلانٌ: جُعِلت له النَوبَةُ. وناب عنه نَوْبَةً، وهو ينوب مَنَابَه، وأَنَبْتُهُ مـنابي، واستنبتُه)[5].

وكلمة الإنابة هي الإقبال والرجوع يـقال أنـاب يـنيب إنـابة فـهو مـنيب إذا

---

(١) معجم ألفاظ القرآن للراغب الأصفهانيّ: ٥٢٥. (٢) منازل السائرين لأبي إسماعيل الأنصاريّ: ٧٧.

(٣) جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض للخوريّ: ١٩١.

(٤) لسان العرب لابن منظور ١٤: ٣١٨. (٥) أساس البلاغة للزمخشريّ: ٤٧٥.

اقبل ورجع.

الإنابة في الاصطلاح:

الإنابة اصطلاحاً: رجوع الىٰ الله تبارك اسمه، وهي: (رجوع عن كلّ شيءٍ ممّا سوىٰ الله، والإقبال عليه بالسرور والقول والفعل، حتّىٰ يكون دائماً في فكره وطاعته، فهي غاية درجات التوبة وأقصىٰ مراتبها)[1].

فهي رجوع إليه تبارك اسمه بالاستغفار والمتاب، والإخلاص لوجهه، والالتزام به، والإسراع اليه بالثبات علىٰ سبيله، ومحاربة الشيطان وإغوائه ووساوسه عن طريق الإعراض والنسيان لمكائده. والمنيب: هو العبد الراجع الىٰ خالقه سريعاً.

فالإنابة: (الىٰ الله تعالىٰ: الرجوع اليه بالتوبة وإخلاص العمل، وفلان ينتاب فلاناً: يقصده مرةً بعد أُخرىٰ)[2] ومنه قولنا عن حقيقة الرجوع الىٰ الله تبارك اسمه: إنّها تعني: الجهد والمواظبة واليقظة، وإرادة في النفس وتوجيهها الىٰ ما تراه موافقاً لغرضها في الوصول الىٰ الحقّ بنيّةٍ صادقةٍ وإخلاصٍ دائمٍ، وحمل النفس علىٰ المشاقّ البدنيّة، ومخالفة الهوىٰ علىٰ كلّ حال:

وسَدِّدْ وقارِبْ واعتصِمْ واستَقِمْ لها ... مُجِيباً إليها عن إنابةِ مُخْبِتِ[3]

وهٰذا الرجوع والإقبال علىٰ الله تبارك اسمه لا يكون إلّا بالعزم والإرادة والتصميم الأخير بترك الذنوب، والانتقال الىٰ ترك المباحات، وذلك لا يكون إلّا بسبق العبد الىٰ حسن ظنّه بنفسه، فيختفي عن مذموم شيمه ومساوىء أخلاقه؛ لأنّ النفسَ بالسوء أمارةٌ، وعن الرشد زاجرةٌ، فإذا كانت كذلك فحسن الظنّ بها، هو وثوقٌ بها، وهو عجز، والعاجز من عجز عن سيّئات نفسه، وهٰذا لا يتناسب ومقام السالك الىٰ الله تبارك اسمه والسير اليه، والانتقال الىٰ مقام الإنابة والعودة اليه بالخضوع والخشية لله تبارك وتعالىٰ.

---

(١) بداية الاخلاق لمحمّد رضا الطباطبائيّ اليزديّ: ٢٤١.

(٢) معجم الفاظ القرآن للراغب الأصفهانيّ: ٥٢٥.

(٣) جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين الخوريّ: ١٥٦.

الإنابة في القرآن الكريم:

ورد ذكر الإنابة في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعاً في آيات كثيرةٍ تحكي عن هٰذه الكلمة وهٰذه المفردة، الّتي تورث معرفتها نوعاً من المعرفة الّتي يستحقّ العبد المؤمن في إدراكها غاية درجات المتيقّن.

فقوله تبارك اسمه: ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾[1] بيان حالة النبيّ داود عليه السلام وإنابته ولاشكّ أنّ مفهوم الإنابة في هٰذه الآية الكريمة يختلف عن مفهومها في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[2].

إنّ الآية الكريمة الّتي تحكي عن القدوة الحسنة المتمثّلة في إبراهيم عليه السلام وإظهاره البراءة من أعداء الله، ومن عبادتهم الهوىٰ والأصنام، وإظهار الكفر بذلك، وترك عبادتهم ودينهم، وتعيين الموقف الحقيقيّ منهم بإظهاره عليه السلام العداوة والبغضاء الىٰ نهاية المطاف بشرط البقاء علىٰ ضلالتهم عناداً. أمّا لو آمنوا فهم إخوانهم في الدين، عند ذلك يصل القول في الآية الكريمة الىٰ: ﴿وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾[3]. وهو مقام العودة الىٰ الحقّ، أي: من الكلّ الىٰ مَن له الكلّ، وهي تختلف عن إنابة عموم العباد، وهٰذا مرتبط بالتسليم المطلق والتفويض اليه بعد الوصول الىٰ درجة الإنابة الحقيقيّة.

ولك الأمرُ فاقضِ ما أنتَ قاضٍ ... فعليّ الجمال قد ولاكا[4]

قال تعالىٰ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءآؤُا مِنْكُم وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَداً حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ

---

(١) صٓ: ٢٤.
(٢) الروم: ٢٣.
(٣) الممتحنة: ٤.
(٤) جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين الخوريّ: ١٩٢.

﴿وَمَا أَمْلِك لَك مِنَ الله مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْك تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْك أَنَبْنَا وَإِلَيْك الْمَصِيرُ﴾[1].

والتدبّر والنظر في قوله تبارك اسمه: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾[2] يُنبيء أنّ الإنابة لم تؤخذ في معناها الحقيقيّ، أو أنّها ليست الإنابة التامّة لأولياء الله، رغم أنّ هذه الآية الكريمة تشير الىٰ الإنابة والتسليم لكنْ لا يعني أنّ ذلك من خُصوصيّات مقامٍ غير مقام عموم الناس، وهٰذا متروك الىٰ محلّه.

فقوله تعالىٰ: «وأنيبوا...» يعني: الرجوع اليه و(العودة الىٰ أفياء الطاعة وظلال الاستسلام بلا طقوسٍ، ولا مراسم، ولا حواجز، ولا وسطاء، ولا شفعاء، إنّه حساب مباشر بين الربّ والعبد، وصلة مباشرة بين الخالق والمخلوق، فمن أراد الأوبة من الشاردين فليؤبْ، ومن أراد الإنابة من الضالّين فليُنِبْ)[3].

أخرج عبد بن حميد وابن جرير، عن قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿وأنيبوا الىٰ ربّكم﴾ قال: أقبِلوا الىٰ ربّكم. وأخرج ابن المنذر، عن عبيد بن يعلىٰ أنّه قال: الإنابة: الدعاء[4].

فإتيان الإنابة بمعنىٰ: الرجوع أو العَوْد أو الدعاء من خلال النظر والتدبّر في الآيات الكريمة يعني ذلك: أنّ العبد لابدّ أن يكون رجوعه رجوع اعتذارٍ كما هو الحال في التوبة بعد ترك الذنب والاستغفار منه، وهٰذا العود يشهد للعبد بصحّة الحال والثبات، وعدم التهاون والغفلة: «تلقّاك بالإنابةِ واخلصَ لك التوبةَ»[5].

أمّا مسألة ذكر الإنابة في هٰذه الآية الكريمة واشتمالها علىٰ معانٍ كثيرةٍ فهو مطلب يحتاج الىٰ مقارنةٍ بين منزلة التوبة ودرجة الإنابة، كما سيأتي في محلّه؛ لأنّ التوبة والمغفرة الّتي أكّدت علىٰ ضرورة الإخلاص في التوبة النصوح والانتقال الىٰ درجة الإنابة. وقد يصحّ أن نقول: إنّ الإنابة تعني في مقام بعض السالكين: توبةً، وفي مقامٍ آخر: إنابةً وعودةً؛ لأنّها: (رجوع الىٰ الله، وهو التوبة من وضع الظاهر موضع المضمر، وكان مقتضىٰ الظاهر

---

(١) الممتحنة: ٤. (٢) الزمر: ٥٤.

(٣) جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين الخوريّ: ١٩٤.

(٤) في ظِلال القرآن لسيّد قطب ٦: ٢٥٨١ في تفسير الآية: ٥٤ من الزمر، والدرّ المنثور ٥: ٣٣٢.

(٥) الصحيفة السجّاديّة، شرح عزّ الدين الجزائريّ: ٨٢.

أن يقال: وأنيبوا اليه، والوجه فيه: الإشارة الىٰ التعليل، فإنّ الملاك في عبادة الله سبحانه صفة ربوبيّة)[1].

الفرق بين التوبة والإنابة:

ليس المقصود من الفرق بين التوبة والإنابة هو الفرق اللغويّ أو الإصطلاحيّ بقدر ما هو فرق من حيث مقامات السالك ودرجات سيره الىٰ الله تبارك وتعالىٰ؛ لأنّ تنقّل العبد من مقامٍ الىٰ مقامٍ هو في الحقيقة: صعودٌ وترقٍّ في سفره الىٰ الله جلّ جلاله.

قال جمال العارفين أبو عبد الله محمّد بن عليّ، المعروف بابن العربيّ: (السَفَر: عبارة عن القلب إذا أخذ في التوجّه الىٰ الحقّ تعالىٰ بالذكر)[2].

وهٰذا السَفَر والتوجّة هو الّذي يحدّد حالة العبد إذا كان توّاباً أو مُنيباً.

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إذا تاب العبدُ توبةً نَصوحاً أحبّه الله، فستر عليه في الدنيا، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: يُنسِي مَلَكه ما كتب عليه من الذنوب، ويُوحي الىٰ جوارحه: اكتُمي عليه ذنوبَه، ويوحي الىٰ بقاعِ الأرض: اكتُمي ما كان يعمل عليك من الذنوب، فيلقىٰ الله حين يلقاهُ وليس شيء يشهد عليه بشيءٍ من الذنوب»[3].

والحديث يكشف لنا حقيقة التوبة النصوح الّتي تؤهِّل الإنسانَ السالك الىٰ أن يصل درجة الإنابة الّتي هي ـ بلا شكّ ـ درجة ومنزلة تختلف كلّيّاً عن منزلة التوبة، فالتوبة هي: (ترك الذنب علىٰ أجلّ الوجوه وهو أبلغ وجوه الاعتذار)[4].

وهي توثيق العزم علىٰ ترك الذنب وعدم العودة اليه والفوريّة في هٰذا الترك.

قال ابن عبّاس رضي الله عنه: (التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان،

---

(١) الميزان للعلّامة الطباطبائيّ ١٧: ٢٨٠.

(٢) اصطلاحات الصوفيّة الواردة في الفتوحات المكّيّة (السفر).

(٣) أُصول الكافي ٢: ٣١٤ باب التوبة.

(٤) معجم مفردات القرآن للأصفهانيّ: ٧٢.

والإقلاع بالبدن، والإضمار علىٰ أن لا يعود)[1].

قال ابن الورديّ:

واسألْ إلٰهك عِصمةً وحِمايَةً فالسيّئاتُ قواصِفُ الأعمارِ[2]

ولمّا كان الوصول الىٰ التوبة النصوح لا يتحقّق إلّا بالندم والعزم علىٰ ترك المعصية والاستغفار الحقيقيّ لٰكنّ الندم علىٰ الذنب هو حالة الانكسار التامّ، وإظهار الحرقة والألم عند ارتكاب المعصية، وهو حالة من (الغمّ الّذي يصيب الإنسان ويتمنّىٰ أنّ ما وقع منه لم يقع)[3]. وهٰذا يدعو الىٰ العزم والإرادة علىٰ الترك المقرون بالإستغفار الذي هو طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية والإعراض عنها واستصلاح الأمر الفاسد قولاً وفعلاً)[4].

فالاستغفار يخلق في النفس حالةً من القبول والرجوع الىٰ الله جلّ جلاله، وهو يمثّل (عين الرجوع الىٰ حقيقة النفس الروحانيّة، والّتي أصبحت بواسطة الذنوب والمعاصي محجوبةً عن نور الفطرة والروح)[5].

فكما أنّ الاستغفار للعبد باب العودة الىٰ الفطرة السليمة والروح الطاهرة فهو كذلك يكشف عن العبد أنواع البلاء، ويؤثّر أثراً خاصّاً في زيادة الخير وإدرار الرزق، قال الله تبارك اسمه: **﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلِ السَّمَآءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جنّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾**[6].

فصِدقُ العبد المؤمن في تركه الذنب وندمه واستغفاره هو الّذي يفتح باب التوبة لإنقاذه من المصير المظلم (بالتوبة والإيمان الصحيح والعمل الصالح) **﴿إلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً﴾** ويَعِدُ الله تعالىٰ التائبين المؤمنين العاملين أن يُبدِّلَ ما عملوه من سيئاتٍ قبل التوبة حسناتٍ بعدها تُضاف الىٰ حسناتهم الجديدة **﴿فَأُولٰئِك يُبَدِّلُ الله سَيِّئَآتِهِمْ**

---

(١) مسند احمد ١: ٤٤٦ وحلية الأولياء ٥: ١٨٩. (٢) التعريفات للجرجانيّ: ٣٢.

(٣) التعريفات للجرجانيّ: ١٠٥. (٤) المصدر السابق: ٧.

(٥) مفتاح النور للإمام الخمينيّ ﷺ: ١٢٢. (٦) نوح: ١٠ ـ ١٢.

حَسَنَاتٍ﴾[1] وهو فيض من عطاء الله لا مقابل له من عمل العبد، إلَّا أنّه اهتدىٰ ورجع عن الضلال، وتاب الىٰ حِمىٰ الله ولاذ بِهِ بعد الشرور والمتاهة ﴿وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[2].

فالابتداء بالندم والإقلاع عن المعصية، والانتهاء بالعمل الصالح الّذي يحقّق التوبة النصوح، بعدها تتحقّق الرحمة والمغفرة من الله تعالىٰ الغفور الرحيم، فهو تبارك اسمه غافر وغفور وغفّار للذنب؛ لأنّه جلّ جلاله (يُزيل معصيتَك من ديوانك، وغفور؛ لأنّه يُنسي الملائكَة افعالك، وغفّار؛ لأنّه يُنسِيك ذنبَك حتّىٰ كأنّك لم تفعل. وقيل: الغافر في الدنيا، والغفور في القبر، والغفّار في عَرَصة يوم القيامة)[3].

فالانتقال من التوبة الىٰ الإنابة لا يتحقّق حتّىٰ يستكمل العبد مرحلةَ التوبة النصوح ويحقّق ذلك في نفسه، خصوصاً إذا وصل السالك الىٰ آخر درجات التوبة الّتي هي: الاستغفار الحقيقيّ القلبيّ، لا الإستغفار الّذي لا يتعدّىٰ اللسان، كلقلقة الكلام الميّت الّذي ليس له حالة واقعة ومؤثّرة في النفس، قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ* أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾[4].

فَذِكرُ الله ـ تبارك اسمه ـ والرجوع اليه بالإستغفار والحزن الطويل، والبكاء من الخطيئة، وقضاء العبادات الّتي فوّتها العبد أثناء ارتكاب الذنب، والخروج من مظالم العباد، وترويض هٰذه النفس الأمّارة بتحميلها ما يشقّ عليها في الشريعة المقدّسة، يُعطي للعبد استغفاراً حقيقيّاً مقبولاً عند الله تبارك اسمه. قال الإمام عليٌّ عليه السلام لقائل قال بحضرته: «أستغفر الله، ثَكَلتك أُمُّك، أتدري ما الاستغفار؟ إنّ الاستغفار درجة العليين،

---

(١) الفرقان: ٧٠.

(٢) في ظِلال القرآن لسيّد قطب ٦: ٢٥٧٩ والآية في سورة الفرقان: ٧٠.

(٣) شرح أسماء الله الحسنىٰ للفخر الرازيّ: ٢١٩. (٤) آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦.

وهو اسم واقع علىٰ ستّة معان:

الأوّل: الندم علىٰ ما مضىٰ.

الثاني: العزم علىٰ ترك العود عليه أبداً.

الثالث: أن تؤدّي الىٰ المخلوقين حقوقهم حتّىٰ تلقىٰ الله أملَس ليس عليك تَبِعَة.

الرابع: أن تعمد الىٰ كلّ فريضةٍ عليك ضيّعتها فتؤدّي حقّها.

الخامس: أن تعمد الىٰ اللحم الّذي نبت علىٰ السحت فتذيبه بالأحزان حتّىٰ تُلصق الجلد بالعظم وينشأ لحم جديد.

السادس: أن تُذيق الجسم ألم الطاعة كما أذقته حلاوة المعصية، فعند ذلك تقول: أستغفر الله»[١].

فحقيقة الاستغفار هٰكذا، وليست مجرّد قول وكلام؛ لأنّ الاستغفار درجات بحسب توبة العباد، كما أنّ توبة العباد تختلف بحسب حالاتهم، (فمثلاً: توبة العامّ من الذنوب، وتوبة الخاصّ من الاشتغال بغير الله، وتوبة الأولياء من تلوين الخاطر، وتوبة الأنبياء من اضطراب السرّ)[٢].

قال الإمام العارف بالله، الشيخ أبو حفص، عمر بن الفارض المخصوص بالشراب الرائق القائض قُدِّسَ سِرُّهُ:

وَلِي عـندها ذنبٌ بـرُؤيةِ غـيرِها   فَهَل لِي إلىٰ ليلىٰ المليحةِ شافِعُ؟[٣]

فبمعرفة ما مرّ ذكره من الندم والاستغفار الحقيقيّ والوصول الىٰ التوبة النصوح يظهر لنا الفرق الحقيقيّ بين التوبة والإنابة، من حيث مقام السالك الّذي تجاوز التوبة بغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة والإعتراف بجنايته والندم علىٰ ما فوّت من حقّ الله. واستحقاق مقام الإنابة والدخول فيها يحتاج الىٰ آدابٍ وأعمالٍ وأورادٍ حتّىٰ يستحقّ

---

(١) نهج البلاغة ٤: ٩٨.   (٢) أسرار الصلاة، حاج ميرزا الملكيّ التبريزيّ: ٣٣.

(٣) جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين الخوريّ: ٢٤١.

العابد الوصول الىٰ مقامٍ أرفع، ودرجةٍ أعلىٰ، بعد ذلك يصل الىٰ الكمال الحقيقيّ والفناء المطلق (وعدم الإحساس بعالم الملك والملكوت، وهو بالإستغراق في عظمة البارىء ومشاهدة الحقّ)[1] تبارك اسمه.

وخلاصة القول: إنّ الفرق بينهما ينحصر في قول العالم العارف النراقيّ رحمه الله حيث يقول: (التوبة: هي الرجوع عن الذنب الىٰ الله، والإنابة: هي الرجوع عن المباحات)[2].

حقيقة الإنابة:

لمّا كان حال الإنسان في هٰذه الدنيا لا يخلوا من ثلاث حالاتٍ هي: السلوك وما بعد السلوك، أي: الاحتجاب في عالم الطبعية، والظلمة والسفر والسلوك، ومرحلة الفناء والوصول الىٰ المحبوب ـ حيث (لم يبقَ من آثار العبوديّة شيء، ونال الفناء الذاتيّ المطلق)[3] ـ كان الإنسان السالك والعبد الطالب محتاج الىٰ التوبة والإنابة في حال السلوك فقط، أمّا قبل السلوك فهي حالة الاحتجاب الكامل الّذي لاحاجة فيها الىٰ هٰذه المطالب وتلك المشارب.

ولمّا كانت نهاية التوبة النصوح نيل العبد لتجلّي الله ـ تبارك اسمه ـ باسمه التوّاب لقوله تعالىٰ: ﴿فَتَابَ عَلَيْه إنَّهُ هُوَ التَوّابُ الرَحِيمُ﴾[4] ـ فكانت في حقّ الربّ: (عبارة عن عودةق الىٰ الإحسان اللائق بالربوبيّة)[5]. حيث إنّ التوّاب الّذي يقابل الدعاء بالعطاء، والاعتذار بالإغتفار، والإنابة بالإجابة، والتوبة بغفران الذنب ـ كانت حقيقة الإنابة: النيل من أنوار اسمه وتجلّياته.

فمن سلك طريق الإنابة أصبح مُظهِراً لاسمه تعالىٰ «المنيب» في وجوب اتّباع طريق من عاد الىٰ عزّ الطاعة، والىٰ حضرته تعالىٰ بالتوحيد والإخلاص في الطاعة، قال

---

(١) التعريفات للجرجانيّ: ٧٣.
(٢) جامع السعادات ٣: ٨٩.
(٣) الآداب المعنويّة للصلاة، الإمام الخمينيّ رحمه الله: ٣٨١.
(٤) البقرة: ٣٧.
(٥) شرح أسماء الله الحسنىٰ، الفخر الرازيّ: ٣٣٦.

تعالىٰ: ﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1].

أنواع الإنابة:

الإنابة من حيث إنّها درجة ورتبة آتية بعد التوبة، وإنّ من نزل في منزل التوبة وقام في مقامها نزل في جميع منازل الإسلام، حيث إنّ التوبة النصوح قد تكون مندرجةً وداخلةً في منزلة الإنابة، ذلك فيما إذا اردنا في التقسيم والبيان مراتب سلوك العابد وسير القاصد. أمّا من حيث حقيقة الموجودات ومرتبة المخلوقات فهي تختلف في إنابتها الىٰ مُبدِعِها وخالِقِها بحسب القصد والجبلّة الّتي عليها من مقام العشق الإلٰهي الّذي يفترض أن يكون هناك شوق ووجد الىٰ نور الأنوار، وحقيقة الحقائق، وغيب الغيوب تباركت أسماؤه وجلّت حضرته من أن تطأها أقدام القاصرين المحجوبين في عالم الظلمة والطبعية.

عباراتنا شَتّىٰ وحُسنُك واحِدٌ ... وكلٌّ الىٰ ذاك الجمالِ يُشيرُ

وعليه كانت إنابة المخلوقات تختلف كلّ الاختلاف عن أصل الإنابة، وحقيقة الإنابة المطلوب بيانها في هٰذه الوريقات القليلة.

فالإنابة تقسّم علىٰ ما تقدّم الىٰ: إنابةٍ ظاهريّةٍ: وهي إنابة المخلوقات: بَرّها وفاجرها، عامّها وخاصّها، وهي الّتي لا تتوقّف علىٰ الإيمان والإخلاص، بل هي تكشف عن كذب مدّعيها، وغدر وخيانة قائليها، وعدم وفائهم بالعهد بعد النجاة، قال الله تبارك وتعالىٰ اسمه: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ * لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2].

أمّا الإنابة الحقيقية: فهي إنابة أهل الله، وهي إنابة صادقة، إنابة الحبّ العبوديّ الخالص الّتي هي مظهر لاسمه المنيب، حيث لا يستحقّ لُطفَه في اسمه هٰذا إلّا مَن تَخَلَّق بحقيقة هٰذا الاسم والّتي تشمل:

---

(١) لقمان: ١٥.

(٢) الروم: ٣٣ ـ ٣٤.

أ ـ الحبّ له، وفيه، ومن أجله تبارك اسمه.

ب ـ الخضوع له، والتذلّل إليه سبحانه وتعالىٰ.

ج ـ الإقبال والتوجّه نحوه بالكلّ؛ لأنّه أهلٌ لذلك.

د ـ ترك وهجر، والإعراض عمّا سواه.

فاجتماع هٰذه الألطاف وهٰذه الخصوصيّات في اسمه «المنيب» تُعطي للسالك القاصد معنىٰ الإنابة الحقيقيّة الّتي تُورث الحبَّ، وتُعطي العبد المعرفةَ بنفسه وبربِّه. قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]. فالوصول الىٰ تلك المقامات والتمتّع بتلك الحالات لا يكون إلّا بتوفيق الله ولطفه، والإقبال عليه، والتضرّع والخشية منه في كلّ حالةٍ، وفي كلّ طرفة عينٍ، ومع حالات القلب المختلفة وخواطره الكثيرة.

كيف تتحقّق الإنابة؟

لا يبلغ العبد درجة الإنابة إلّا بعد اجتياز جملةٍ من المراحل والحالات الّتي لابدّ من المجاهدة وترويض النفس فيها، لحصول معنىٰ الإنابة الصادقة في النفس، ومن خلال ملاحظةٍ لجملةٍ من الشروط والآداب والاجتهاد في فهمها وتحقيقها في القلب، حتّىٰ تكون ملاكاً للنفس وحالةً دائمةً ومستقرّةً فيها:

١ ـ ترك التبعات والخروج منها بالتوبة الصادقة والاستغفار الحقيقيّ، من خلال الإقبال علىٰ الله ـ تبارك اسمه ـ بحقيقة النفس، حتّىٰ يستغرق القلب في فكره تبارك وتعالىٰ.

٢ ـ إظهار التألّم والتوجّع للسقطات والعثرات، من خلال ذكر الله تبارك وتعالىٰ، وعدم الغفلة عنه، واليقظة الكاملة والتامّة، وذكر آلائه ونعَمه، وأن يكون العبد دائم الذكر لأهل طاعته ومحبّته.

٣ ـ وأن يواظب علىٰ طاعته وعبادته، ويستدرك مافاته من الطاعات والخروج

---

(١) هود: ٨٨.

من تبعات الذنوب الّتي بينك وبين الله، والتوجّه بالإخلاص الىٰ طاعته تبارك وتعالىٰ، وترك الإستهانة والغفلة[1].

قال الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام في دعاء يوم عرفة: «وأتيتُك من الأبوابِ الّتي أمرتَ أن تُؤتىٰ منها، وتقرّبتُ إليك بمالا يقربُ أحد منك إلّا بالتقرّبِ به، ثمَّ أتبعتُ ذلك بالإنابة إليك، والتذلّلِ والاستكانة لك، وحسنِ الظنِّ بك، والثقةِ بما عندك، وشَفَعْتُهُ برجائِك الّذي قلّ ما يَخيبُ عليك راجِيك»[2].

أهمّيّة وآثار الإنابة:

إنّ للإنابة آثاراً وفضائل كما هي الحال في فضائل وآثار التوبة والاستغفار، فإنّ الإنابة وتحقّقها بما هي من حالة الرجوع الكامل الىٰ الله تعالىٰ بالاخلاص والعمل والانقطاع الكامل اليه تعطي آثارها الفائضة عنها، والواقعة للعبد بعد توفيق الله تبارك اسمه له في نيل هٰذا النعيم وهٰذه الرحمة، إذ لولا (لطفه تبارك وتعالىٰ لَما وفّقنا لذلك، فإذا ندمت علىٰ فعلك ورجعت اليه أحبّك وجعلك محبوباً له)[3] فمن تلك الفضائل والآثار أنّ الإنابة تؤدّي الىٰ:

أ ـ المعرفة وتورّثها في النفس، حيث تُعتبر علامةً للاهتداء نحو الطريقة المُثلىٰ والسبيل الأوضح والصراط السويّ، قال تعالىٰ: ﴿واتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[4].

ب ـ إنّ الإنابة عنوان الاستقامة علىٰ الطريق الصحيح، حيث تُقوّم النفس وتُؤدّب ما يؤدّي الىٰ تهذيب القلب من خلال أداء الطاعات المفروضة واجتناب المعاصي؛ لأنّ عنوان الإستقامة علىٰ الطريق كفيل بعبور العبد السالك في طريق العبوديّة بإرشاد ماهو مشروع ومعقول في رسالة البشير الهادي الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي

---

(١) شرح منازل السائرين: ٧٨.
(٢) الصحيفة السجّاديّة، شرح عزّ الدين الجزائريّ: ٨٢.
(٣) الأربعون حديثاً للإمام الخمينيّ قدس سره: ٢٦١.
(٤) لقمان: ١٥.

﴿إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾[1].

ج ـ تُحرِّض علىٰ قبول الحقّ، ورفض العناد من خلال حدوث حالةٍ من الصَفاء الواعي والوداعة الطيّبة في قلب العبد السالك، تجعله راضياً بالحقّ، قابلاً له، منكراً ورافضاً العناد الّذي يحدث في النفس حالةً من الانزعاج التامّ وعدم الطمأنينة والرضا بفعل الله تبارك اسمه، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ ذَٰلِكُمُ اللهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[2].

وقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَاتَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾[3].

د ـ إنّ من آثارها وفضائلها: أن تكون عنواناً للتدبّر والتفكّر في آياته وآلائه تبارك اسمه، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَمَاءِ رِزْقاً وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾[4].

هـ ـ إنّها تُحدِث في النفس حالةً من الخشية والتوكّل الدائم والمستمرّ علىٰ الله في كلّ شيءٍ، وطلب المغفرة منه؛ لما تركته هٰذه الحالة من الرجوع اليه تبارك وتعالىٰ من الطمع والرغبة في فضله ورحمته تبارك اسمه، قال تعالىٰ: ﴿وَأُزْلِفَتِ الجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ* هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ* مَنْ خَشِيَ الرَحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾[5].

و ـ تزفُّ البشرىٰ والنعمة من الخالق سبحانه وتعالىٰ لعباده المُنِيبين بأنّهم علىٰ الهدىٰ وعلىٰ الصراط، وهم أهل الألباب، وذوي الفطنة والحكمة والتلقّي والأخذ وحسن الاستماع من جرّاء تحقّق معنىٰ الإنابة في قلوبهم وذواتهم، قال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ* الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ

---

(١) الرعد: ٢٧.
(٢) الشُورىٰ: ١٠.
(٣) الشورىٰ: ١٣.
(٤) غافر: ١٣.
(٥) ق: ٣١ ـ ٣٣.

الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِك الَّذِينَ هَدَاهُمُ الله وَأُولَئِك هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾[1].

الإنابة في كلمات العارفين:

قال العارف أبو إسماعيل عبد الله الأنصاريّ: (الإنابة: الرجوع الىٰ الحقّ اصطلاحاً كما رُجع اليه اعتذاراً، والرجوع اليه وفاءً ما رجع اليه عهداً، والرجوع اليه حالاً كما رُجع اليه إجابةً)[2].

وقال الشريف عليّ بن محمّد الجرجانيّ: (الإنابة: إخراج القلب من ظلمات الشبهات والرجوع من الكلّ الىٰ مَنْ له الكلّ، ومن الغفلة الىٰ الذكر، ومن الوحشة الىٰ الأُنس)[3].

وقال ابن القيّم: (ومن علامات الإنابة: ترك الإستهانة بأهل الغفلة، والخوف عليهم، مع فتح باب الرجاء لنفسك، فترجو الرحمة وتخشىٰ علىٰ أهل الغفلة والنقمة، ولٰكن أُرْجُ لهم الرحمةَ، واخشَ علىٰ نفسك النقمة، وإن كنتَ لابدّ مستهيناً بهم، ماقتاً لهم، لانكشاف أحوالهم لك ورؤية ماهم عليه، فكن لنفسك أشدَّ مقتاً منك لهم، وكن أرجىٰ لهم لرحمة الله منك لنفسك)[4].

وقال النراقيّ في ذكره للإنابة: (الإنابة: هي الرجوع عن المباحات)[5].

وقال عفيف الدين التلمسانيّ في تعليقه علىٰ منازل السائرين: (إنّ الإنابة هي: الرجوع الىٰ الله في إصلاح الطاعة، كما رجعت اليه في الاعتذار عن المعصية عند التوبة)[6].

وقال العلّامة الفيلسوف الطباطبائيّ في معنىٰ الإنابة: (الإنابة الىٰ الله: الرجوع اليه، وهو التوبة)[7].

وقال محمد رضا الطباطبائيّ اليزديّ في الإنابة: (إنّها الرجوع عن المباحات اليه تبارك وتعالىٰ، وهي رجوع عن كلّ شيءٍ ممّا سوىٰ الله، والإقبال عليه بالسرّ والقول

---

(١) الزمر: ١٧ ـ ١٨.
(٢) منازل السائرين: ٧٧.
(٣) التعريفات للجرجانيّ: ١٧.
(٤) مجلّة العرفان، العدد التاسع، شوال (١٣٩٢هـ. ق).
(٥) جامع السعادات ٣: ٨٩.
(٦) منازل السائرين: ٧٧.
(٧) الميزان في تفسير القرآن ١٧: ٢٨٠.

والفعل حتّىٰ يكون دائماً في فكره وطاعته)[1].

فممّا تقدّم من ذكر التوبة والإنابة لا يتحقّق إلّا بالمجاهدة والرياضة وبذل المهج، وتهذيب الأخلاق وتزكيتها من الرذائل، والوصول الىٰ الله تبارك اسمه، والفناء فيه، وتحقّق معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]. والعبادة: قيام العبد بالطاعة علىٰ أحسن وجوهها، فإنّ ذلك لا يكون إلّا من خلال الإعتماد علىٰ ظاهر الشريعة، وآداب السلوك عند أهل هٰذه الملّة والأُمّة المرحومة، وما صدع به الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من الورود في هٰذا الدين وعلىٰ صراطه المستقيم.

قال العارف الربّانيّ الإمام الخميني قدس سره: (واعلم: أنّ طيّ أيّ طريقٍ في المعارف الإلٰهيّة لايمكن إلّا بالبدء بظاهر الشريعة، ومالم يتأدّب الإنسان بآداب الشريعة الحقّة لا يحصل له شيء من حقيقة الأخلاق الحسنة، كما لا يمكن أن يتجلّىٰ في قلبه نور المعرفة، وتنكشف العلوم الباطنيّة وأسرار الشريعة، وبعد انكشاف الحقيقة وظهور أنوار المعارف في قلبه سيستمرّ أيضاً في تأدّبه بالآداب الشرعيّة الظاهريّة، ومن هنا نعرف بطلان دعوىٰ من يقول: إنّ الوصول الىٰ العلم الباطن يكون بترك العلم الظاهر، وهٰذه الدعوىٰ ترجع الىٰ جهل من يقول بها، وجهله بمقامات العبادة ودرجات الإنسان)[3].

وقال جمال العارفين، محي الدين العربيّ في إصلاحات الصوفيّة في الفتوحات المكّيّة، في ذكره لمعنىٰ التصوّف: (الوقوف مع الآداب الشرعيّة ظاهراً وباطناً، وهي الأخلاق الإلٰهيّة)[4].

فعلم الظاهر يوصل الىٰ الباطن، والتأدب بآداب الشريعة والرياضة المشروعة والإقبال علىٰ الله ـ تبارك اسمه ـ وحبّه وعشقه ورفض سواه كفيل بوصول الإنسان الىٰ غاية كماله ونهاية مآله، والتفويض الىٰ الخالق في كلّ شيء.

رَضُوا بِالأَمانِي وابْتَلُوا بحُظُوظِهِمْ وَخَاضوا بِحارَ الحُبِّ دَعوىٰ فَا ابتُلُوا

---

(١) بداية الأخلاق: ٢٤١.
(٢) الذاريات: ٥٦.
(٣) الأربعون حديثاً للإمام الخميني قدس سره: ٢٥.
(٤) الفتوحات المكّيّة:

فَهُمْ في السُرىٰ لم يَبْرَحُوا مـن مكـانِهِم وما ظَعَنُوا في السَيرِ عنه وقـد كـلّوا[1]

وهٰذا أيضاً يكشف دعوىٰ من يدّع الحبّ والوصال دون العمل، وبـذل الجـهد والمجاهدة في هٰذا السبيل الطويل والدرب الشاقّ مع قلّة الزاد، راجياً مَن حبّه الخـالي وأمانيه الكاذبة لله ولأهل الله ـ تبارك اسمه ـ أن ينجيه من عقبات يوم القيامة ومن جهنّم ولظىٰ، ناسياً أنّ هٰذا السير وهٰذا الدرب لن تبلغ نهايته، ولا يوصل الىٰ غايته إلّا بالعلم والعمل والإخلاص والصدق في المواطن وترك الهوىٰ والشبهات.

قال أبو حفص عمر بن الفارض في ذلك:

ونهجُ سبيلي واضِحٌ لِمَـنِ اهْـتَدَىٰ ولٰكنَّها الأهواءُ عُمّتْ فأعْـمَتِ[2]

(١) جلاء الغامض في شرح ديوان ابن الفارض لأمين الخوريّ: ١٥٧.

(٢) المصدر السابق: ٧٣.